الربيع العربي: هل تحققت نبؤءة فوكوياما؟

إعداد

سرتية صالح حسين التاروغي

طالبة دكتوراه بقسم الفلسفة

إشراف

أ.د/ رمضان البسطاويسي

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية البنات – جامعة عين شمس

أ.د/ حسين علي حسن

أستاذ المنطق وفلسفة العلوم

كلية الآداب – جامعة عين شمس

عناصر البحث

مقدمة

المبحث الأول ـ الديمقراطية الليبرالية ونهاية التاريخ

أ- معنى نهاية التاريخ عند فوكوياما .

ب – التحول الديمقراطي والربيع العربي

المبحث الثاني ـ الربيع العربي وأجندة المحافظين الجدد

أ- تغير أنظمة الحكم

ب- الفوضى الخلاقة

خاتمة

قائمة المراجع والدوريات الواردة في البحث

مقدمة:

شهدت المنطقة العربية في الآونة الأخيرة انتفاضات واحتجاجات شعبية في كل من تونس ومصر وليبيا والبحرين واليمن والأردن والمغرب وسوريا سميت بالربيع العربي، وهو مصطلح أطلق على الأحداث التي أسقطت أنظمة وهزت عروش أنظمة أخرى ،مما ترتب عليه حدوث تغيرات في الواقع السياسي اعتقد البعض انه تجسيد واقعي لما جاء به فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) الذي رأى فيه أن الديمقراطية الليبرالية هي المحصلة النهائية للتطور البشري ولاسيما بعد أن أثبتت الأيديولوجيات الأخرى (الفاشية والنازية والشيوعية) فشلها.

لقد أشار فوكوياما إلى أن الديمقراطية الليبرالية تشكل المنعطف الأخير وأن انهيار الحكم الشيوعي في أوروبا الشرقية ١٩٨٩م يُعد علامة على تهاوى الماركسية اللينينية كأيديولوجية لها أهمية عالمية، الأمر الذي سهل زحف الديمقراطية الليبرالية على مساحات واسعة أمام تراجع الأيديولوجيات الأخرى، وها نحن نشهد في الساحة العربية انتفاضات شعبية تطالب بالتحول الديمقراطي، الأمر الذي جعل البعض يعتقد أن بلدان الربيع العربية تتجه صوب الديمقراطية الليبرالية تماماً كما حدث في دول أوروبا الشرقية التي تبنت الديمقراطية بعد الإطاحة بالأنظمة الاستبدادية،الأمر الذي يؤكد صحة نبوءة فوكوياما .

ولأن الثورات يجب أن تُؤخَذ بنتائجها لا بمطالبها وشعاراتها، فإن نتائجها تؤكد أن ما تشهده المنطقة العربية تجسيد عملي لأجندات المحافظين الجدد وتحقيق لنبوءة فوكوياما أيضا، وذلك لأن فوكوياما كان من منظرى المحافظين الجدد الذين جعلوا أطروحته (نهاية التاريخ) بمثابة الإنجيلاً لهم، ونحن لا ننكر أن تلك الانتفاضات الشعبية جاءت بشكل عفوي دون عقد اجتماعات أو لقاءات سرية لها، تطالب من خلالها بالإصلاحات الاقتصاديةوالاجتماعية والسياسية، إلا أن الدول الغربية على رأسها الولايات المتحدة وجدت في تلك الانتفاضات الفرصة التي طالما انتظرتها لتحقيق إجنداتها ، فالشعوب هي التي انتفضت دون إيعاز أو تنظيم من الدول الغربية مطالبةبالمشاركة السياسية والإصلاحات في كافة ميادين الحياة. وترى أمريكا في نفسها الراعي الرسمي للديمقراطية وحقوق الإنسان، الأمر الذي يتطلب منها مساندة تلك الإنتفاضات لتتبنى الديمقراطية الأمريكية التي تسعى بالدرجة الأولى للسيطرة على آبار النفط والمقدرات الطبيعية في الشرق الأوسط.

إن مايجرى على الساحة العربية ليس بالأمر المفاجئ أو وليد اللحظة بالنسبة للدول الغربية ، بل هومخطط استعماري أعده المحافظون الجدد وإن اختلفت طرق التنفيذ، وذلك من أجل تشكيل شرق أوسط جديد وبمقاييس أمريكية .لذا يُعَد موضوع التحول الديمقراطي في منطقة الشرق الأوسط مكوناً رئيسياً من مكونات السياسة الخارجية الأمريكية ،فالمحافظون الجدد يؤكدون على ضرورة نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان وذلك من خلال اعتمادهم سياسة تغيير أنظمة الحكم، وإحلال الفوضى الخلاقة في المنطقة العربية ، ولاسيما عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر .

ومن هنا برزت أهمية موضوع البحث، حيث سنحاول الوقوف على العلاقة التي تربط بين مايسمى " بالثورات العربية " وأجندات المحافظين الجدد. وما مدى تحقق نبوءة فوكوياما؟ وأهم التحديات التي تعوق بلدان الربيع العربي في التحول الديمقراطي ؟ وما الرابط المشترك بين أجندة المحافظين الجدد وتلك الانتفاضات العربية؟ كل هذه الأسئلة وغيرها ستكون موضع اهتمامنا في هذا البحث.وسنعتمدفي دراسة المشكلة البحثية على المنهج التحليلي النقدي.وسنقسم البحث إلى مبحثين بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة ، ففي المبحث الأول سنقف على نهاية التاريخ عند فوكوياما؛ أي سنتناول بإيجاز كيف صاغ فوكوياما نبوءته والمتمثلة في الديمقراطية الليبرالية كمحصلة نهائية للتطور الإنساني وهل بلدان الربيع العربي قادرة على التحول صوب

تلك الديمقراطية الفوكومية بسهولة، أما في المبحث الثاني فسوف نتناول العلاقة بين ما يسمى الثوراث العربية بأجندات المحافظين الجدد، وفي الخاتمة سنتناول أهم نتائج هذا البحث .

المبحث الأول

الديمقراطية الليبرالية ونهاية التاريخ

أ- معنى نهاية التاريخ عند فوكوياما

إن فكرة نهاية التاريخ ليست بالفكرة المعاصرة، فالتاريخ تنبأ بنهايتة عدة مرات على أيدي بعض الفلاسفة عبر العصور المختلفة.ففي العصور الوسطى - على سبيل المثال - بلور (القديس سان أوغسطين) فكرة نهاية التاريخ وصبغها بصبغة دينية مسيحية في كتابه "مدينة الله" تلك المدينة القائمة على حب الله ([1]). أما مكيافيلي فقد صبغ نهاية التاريخ بصبغة سياسية حيث جسد تلك النهاية في توحد إيطاليا لتكون دولة موحدة قوية يحكمها أمير قوي تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة ،([2])كما بلور كل من هيجل وماركس نهايتين مختلفتين عن نهاية للتاريخ، حيث بلور هيجل نهاية التاريخ بشكل مثالي ورأى في إقامة ألمانيا كدولة قوية موحدة نهاية التاريخ، فالدولة عنده هي الفكرة المقدسة كما توجد علي الأرض، وهي هدف ونهاية التاريخ[3]، خلافاً لماركس أب الأيديولجية الشيوعية والذي احتفل فوكوياما بنهاية نظريته بانهيار الاتحاد السوفيتي، لقدقدم ماركس تفسيراً لنهاية التاريخ وصبغها بالصبغة المادية فرأى في المجتمع الشيوعي (المجتمع اللاطبقي) نهاية التاريخ، فالمجتمع البشري يمر بمراحل ليصل في نهاية المطاف إلى الدولة الاشتراكية التي تجسد هدف ونهاية التاريخ .([4])

ظهر في أواخر القرن العشرين عام ١٩٨٩ وبعد انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي بمنظومته الشيوعية، المفكر الأمريكي فوكوياما بمقال بعنوان "نهاية التاريخ " والذى أشار فيه إلى إغلاق باب التاريخ من جديد ورأى في انتصار الديمقراطية الليبرالية على ما سواها من أيديولوجيات أخرى (الفاشية، النازية، الشيوعية) تجسيداً حقيقياً لنهاية التاريخ.

ويقصد فوكوياما بنهاية التاريخ " ليس توقف تواتر الأحداث، فالأحداث ما تزال مستمرة، هناك أحداث وهناك مبادئ، ولكن لن يكون هناك أي تقدم أو تطور للمبادئ والعقائد . ويقول أيضاً" إن الديمقراطية الليبرالية بإمكانها أن تشكل - فعلاً - منتهى التطور الأيديولوجي للإنسانية ". و" الشكل النهائي لأي حكم إنساني، أي إنها من هذه الزاوية "نهاية التاريخ " .[5]

وبهذا يتبين أن الديمقراطية الليبرالية تُعَد المحصلة النهائية للتطور الإنساني ولاسيما بعد انهيار المد الشيوعي الذي يُعَد آخر حدث جديد ،ويقدم فوكوياما قائمة لتحولات الديمقراطية التي شهدتها دول أوروبا الشرقية والجنوبية والاتحاد السوفيتي ليقفل بذلك باب التاريخ ويعلن انتصار الديمقراطية الليبرالية على الأيديولوجيات المنافسة لها.

ومن أجل أن يقدم فوكوياما تفسيراًلمسار التاريخ الإنساني استند إلى الأحداث السياسة التي شهدها العالم في الربع الأخير من القرن العشرين ليثبت ضعف الديكتاتوريات العالمية وأن الديمقراطية الليبرالية المحصلة النهائية للتطور الإنساني، وأنها التطلع السياسي الوحيد المتماسك

([1])أبو عياد فاطمة الزهراء ، القديس أوغسطين " أفريقيته و عالميته"، ط١،ج٢،(الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ٢٠٠١)ص ٠١١.

([2])مجدي كامل و آخرون ، مكيافيللي وكتابه الأمير، ط١،(القاهرة، دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٨)ص٣٣.

([3])محمد عبد المعز نصر ، فلسفة السياسية عند الألمان ، (القاهرة ، دار النهضة العربية ، ب ت) ص ٥٤، ٥٦.

([4])مالك عبيد أبو شهيوة و آخرون ، الإيديولوجيا و السياسة " دراسات في الإيديولوجيات السياسية المعاصرة ، ج١ (طرابلس ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥) ص ذ٠٧.

([5])فوكوياما ، نهاية التاريخ والإنسان الأخير ، ترجمة فؤاد شاهين ، (بيروت ، مركز الإنماء القومي ،١٩٩٣) ، ص ٢٣

الذي يربط مناطق وثقافات متباينة في كل أنحاء العالم وأن التاريخ شهد اتجاه دول أوروبا الشرقية نحو الديمقراطية الليبرالية، الأمر الذي يتطلب من دول العالم تبنيها .

كما استند إلى مفاهيم فلسفية قديمة استقاها من أفلاطون وكانط وهيجل، ليعطي أطروحته نوعاً من المصداقية والعالمية، الأمر الذي جعل تيار المحافظين الجدد يتخذتلك النظرية بمثابة إنجيل له، لأنها تساعدهم على تنفيذ أهدافه وإستراتيجيته ولاسيما في الشرق الأوسط.

ب- التحول الديمقراطي والربيع العربي

شهد العالم العربي انتفاضات واحتجاجات شعبية غير متوقعة أسقطت أنظمة وهزت أنظمة أخرى وخلقت واقعا سياسيا جديداً، كان ذلك في تونسالتي تُعَدالشرارة الأولى للربيع العربي ثم تلتها مصر وليبيا وسوريا واليمن والبحرين* والجزائر** والسعودية*** والأردن ****والسودان وموريتانيا والكويت وجيبوتي، وكانت نتائج تلك الانتفاضات متباينة حيث هرب الرئيس التونسي زين العابدين بن على إلى المملكة العربية السعودية ، وأعلن الرئيس المصري حسني مبارك تنحيه عن السلطة،أما في ليبيا*** فقد تحولت تلك الانتفاضات إلى حرب عسكرية بين الجيش الليبي والمعارضة ترتب عليها مقتل الزعيم القذافي بوحشية في سرت،وعندئذ قالت هيلارى كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية ضاحكة، وهي تتحدث عن الأسلوب المنحرف الذي

(*)شهدت البحرين احتجاجات في ١٤-فبراير ٢٠١١ لتحقيق عدة مطالب أبرزها تنحى رئيس الوزارء وزيادة المشاركة الشعبية متأثرة بموجة الاحتجاجات العارمة التي اندلعت في الوطن العربي ، وانتهت تلك الاحتجاجات بقتل واعتقال المتظاهرين وإرسال درع الجزيرة لقمع تلك الاحتجاجات .

)**شهدت الجزائر احتجاجات شعبية بدأت في يناير ٢٠١١ متأثرة هي الأخرى بموجة الاحتجاجات العارمة ولاسيما بالثورة التونسية التى اطاحة بالرئيس زين العابدين مطالبة باجرء إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية وتم التعامل مع تلك الاحتجاجات بالعنف والاعتقال مما اثار موجة غضب لدى معظم الجزائيين ترتب عليه مطالبتهم بتنحى الرئيس وضرورة الانفتاح الديمقراطي ونتيجة للضغوطات قام الرئيس عبد العزيز بوتفليقة بالإصلاحات سياسية واسعة وأضاف أنه سيعمل على تعديل دستور البلاد من أجل تعزيز الديمقراطية النيابية . لمزيد من التفاصيل راجع محمد ثابت ، الحكام العرب " كيف سقطت العروش من المحيط إلى الخليج " (اليمن ، دار الحياة للنشر والتوزيع ، ٢٠١١)

)***في السعودية خرجت مظاهرات سلمية في مناطق شيعية تطالب بإطلاق سراح سجناء وإقرار إصلاحات واسعة تضمن تطوير نظام الحكم ، وتمكن من التحول إلى ملكية دستورية ، الأمر الذي قاد الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز إلى تقديم حزمة مساعدات اجتماعية تصل قيمتها إلى مليارات الدولارات .

****) خرجت مظاهرت تطالب بالإصلاح السياسي وتحسين الأوضاع المعيشة في الأردن وطالبوا بتحول النظام إلى ملكي دستوري مما اجبر ملك الأردن إلى تعيين حكومة جديدة وأمر برفع رواتب وتخفيض الضرائب كما التقى بقادة الإخوان المسلمين لأول مرة منذ استلامه السلطة .

*****كشف برنارد ليفي صديق الرئيس الفرنسي ساكوزي وعراب ما يسمى بالثورات العربية وذلك في كتابه " الحرب بدون ان نحبها .. يوميات في قلب الربيع العربي " انه صانع ما جرى في ليبيا مدبر لها وأنه هو من كتب بيانات المجلس الوطني الإنتقالي وحرك دفعات المال وشحنات السلاح من كل مكان إلى ليبيا ومن دعا الى حشد القوات وأنه من نصح بتوظيف جامعة الدول العربية لتكون جسراً لوضع ليبيا في سلطة مجلس الأمن لكي يطبق فرض حظر جوي ،كما ساهمت كل من السعودية وقطر والامارات في دعم مسيرة الاحتجاجات في ليبيا وذلك من خلال تزويد قطر ما يسمى بالثوار بالسلاح ، تعد قطر ليس فقط المساعد الأساسي لنجاح الثورة بل كانت إحدى الركائز الأساسية لإسقاط نظام القدافي ، كما أنها تصدرت تحرك الجامعة العربية لدعوة الأمم المتحدة على فرض منطقة حظر جوي في ليبيا ،كما قامت بتقديم المساعدات المالية للمجلس الانتقالي .

قتل به معمر القذافي "لقد ذهبنا، ورأينا، أنه مات"[٦]وفي سوريا تحولت تلك الانتفاضات إلى حرب دخلت الآن عامها الخامس بين الجيش النظامي والجيش الحر، وكانت لها تداعيات سلبية على المنطقة العربية بصفة خاصة، والدول الغربية بصفة عامة حيث تمخض عن تلك الحرب ظهور منظمة إرهابية سميت بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) الذي احتل أراضي واسعة من سوريا والعراق والتي ترتب عليها اختلال موازين النجاح لهذه الانتفاضة، الأمر الذي أجبر التحالف الأمريكي الأوروبي على التصدي له من أجل المحافظة على مصالحهم وعلى أمن إسرائيل بالدرجة الأولى ،وأما في البحرين فقد ساهم مجلس التعاون دول الخليج في كبح جماح تلك الانتفاضة ، ونشردرع الخليج الذي قمع تلك الاحتجاجات المناهضة للحكومة والتى قام بها أفراد من الطائفة الشيعية المهضوم حقوقها والذين لا يتمتعون بالمشاركة السياسية الفاعلة، في المقابل أيضا لعب مجلس التعاون لدول الخليج دور الوسيط بين الرئيس اليمني عبدالله صالح*وجزء من المعارضة تم بموجبها تقديم الرئيس عبدالله صالح استقالته مقابل عدم ملاحقته قانونياً .

وفي المقابل شهدت بعض الدول العربية أيضاًاحتجاجات شعبية ولكن تم احتواؤها من خلال تقديم الإصلاحات اللازمة خوفاً من أن يشملهم الربيع العربي كما هو الحال في المغرب والأردن والسعودية، [٧] وساهمت كل من السعودية وقطر في لعب دور مميز في مساندة تلك الثورات، ويظهر ذلك جلياً في الأحداث الليبية حيث قامتا (قطر والسعودية) بدعم تدخل حلف الناتو الذي أطاح بنظام القذافي كما سخرتا قناتي الجزيرة والعربية اللتين كانتا آلية من آليات التحريض وصنع الحدث (الحر) دون مراعاة الحيادية والمصداقية حيث قامتا بالتضليل الإعلامي بدءاً من الإعلان عن حمام دم وشيك في بنغازي إن لم يتدخل الغرب إلى روايات عن إغتصابات جماعية يقوم بها جنود جيش القدافي وفقا لما قاله السفير الأمريكي في ليبيا في الأمم المتحدة، وجاء بصحيفة لوس انجلوس تايمز في أبريل ٢٠١١ أن التغطية الإعلامية في الشأن الليبي غير منصفة أو غير متوازنة[٨]

واعتقد البعض أن العَالم العربي يشهد تحولاً ديمقراطياًالأمر الذي يؤكد على تحقق نبوءة فرانسيس فوكوياما صاحب كتاب " نهاية التاريخ " والذى أشار إلى أن الديمقراطية الليبرالية تمثل المحصلة النهائية للتطور البشري، وأن بلدان الربيع العربي سوف تنتهج نفس النهج الذي شهدته دول أوروبا الشرقية من تحول ديمقراطي بعدما كانت تحت سيطرة الحكومات التقليدية الاستبدادية. وعلى الرغم من التحولالديمقراطي الذي حدث في دول أوروبا الشرقية وروسيا والصين إلا أن الدول الغربية تتخوف من انتكاس تلك الدول ، وبالتالي تحاول الدول الغربية تقديم المساعدات، وتوسيع حلف الأطلسي وانضمام دول الاتحاد الأوروبي ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تقديم القروض ونقل التقنية والمؤسسات المالية والمعلوماتية من خلال صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وكل ذلك من أجل ترسيخ الديمقراطية بطابعها الليبرالي . وبالرغم من

)([٦]وليام بلوم ، الديمقراطية " أشد الصادرات الأمريكية فتكا "، ت فاطمة نصر ، ط١ ،(القاهرة ، مكتب سطور للنشر ،٢٠١٥)ص١٨٥.

*لقد قدم الرئيس على عبدالله صالح تنازلات كثيرة للمعارضة أمام البرلمان قبل انطلاق تظاهرة" يوم الغضب " ، ورفض توقيع على المبادرة الخليجية في انتقال السلطة ، كما رفضت المعارضة التوقيع بعدما رفض الرئيس على عبدالله التوقيع لذا رأت المعارضة ضرورة التصعيد للضغط على الرئيس للتنحي بعد رفضه بآخر لحظة التوقيع على اتفاق بنقل السلطة لنائبه وبين كر وفر اجبر الرئيس علي عبدالله صالح على التوقيع .

)([٧]محمد ثابت ، الحكام العرب " كيف سقطت العروش من المحيط إلى الخليج ، ط١، (اليمن ، دار الواعي ، ٢٠١١) ص ٧، ٤٤.

)([٨]وليام بلوم ، الديمقراطية ، ت فاطمة نصر ، مرجع سابق ،ص ١٨٦.

المساعدات التى تقدمها الدول الغربية لتلك الدول إلى أنه بدأت تظهر ملامح الوجه السلطوي ولاسيما في روسيا والصين .[٩]

ويرى فوكوياما في كتاب صدر له مؤخراً يحمل عنوان " النظام السياسي والتآكل السياسي " صعوبة التكهن بنتائج الربيع العربي ورأى وجود شبه بين حالتي أوروبا في القرن التاسع عشر والمنطقة العربية، من حيث عدم وجود خبرة مسبقة بالديمقراطية فكل من البلدان العربية وأوروبا كانتا لا توجد لديهما خبرة عن الديمقراطية، لذا يتطلب من البلدان العربية بذل مزيد من الجهد لترسيخ الديمقراطية في الواقع . لأن لديها من سيساعدها في ذلك وهذا ما يميزها عن أوروبا في القرن التاسع عشر[١٠].وفوكوياما لايتخوف من فشل التحول الديمقراطي في بلدان الربيع العربي، لاسيما في هذا الوقت بالذات حيث توجد دول ديمقراطية ستمد يد العون للبلدان العربية، حتى تتمكن من انتهاج الديمقراطية الفوكومية بالرغم من وجود التحديات التي قد تعوق هذا التحول سريعاً صوب الديمقراطية.

وبالرغم من أن فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) رأى عدم اتفاق العالَم الإسلامي في رؤية أن الديمقراطية أكثر صور الحكم العقلانية[١١]، ويبدو أن فوكوياما يطمئن نفسه بأن العالَم العربي سيشهد تحولاً ديمقراطياً بالرغم من اقتناعه أن البلدان العربية ليس بالسهولة بمكان لكي تقبل الديمقراطية الليبيرالية التي لم تطبق حتى في الدولة العامة المتجانسة (أمريكا) فسجل التاريخ يفضح ما تقوم به أمريكا من تجريد الديمقراطية من سماتها الاجتماعية لتخدم مصالحها وإستراتيجيتها، فضلاًعن استخدامها الوسائل العسكرية لمنع وصول نظام ديمقراطي إلى سدة الحكم، فهي تعيق الديمقراطية باسم الديمقراطية . لذا لايمكن لأمريكا دعم أي تحول ديمقراطي حقيقي لأن ذلك ليس من مصلحة رأس المال الأمريكي.[١٢] ويؤكد وليام بلوم المتخصص في السياسة الأمريكية الخارجية على ذلك بقوله : "إن الولايات المتحدة لا يهمها هذا الشئ المسمى "ديمقراطية" ....فمنذ عام ١٩٤٥ ، حاولت الولايات المتحدة الإطاحة بما يرنو على خمسين حكومة، غالبيتها منتخبة ديمقراطياً، وتدخلت تدخلاً فجاً سافراً في انتخابات ثلاثين بلد على أقل تقدير . السؤال هو: ماذا يعنى القادة الأمريكيون بلفظ "ديمقراطية "؟".[١٣]

وشهد شاهد من أهلها، فأي ديمقراطية يمكن أن تطبق في بلدان الربيع العربي الزاخرة بالامتيازات التي تبحث عنها أمريكا والدول الغربية ، وندرك جيداً بأن نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان ما هي إلا شعارات ترفعها الدول الغربية للسيطرة على مقدرات المنطقة العربية، وليس في الامكان أن تسعى الدول الغربية مساعدة بلدان الربيع العربية للتحول الديمقراطي بسهولة .

ويُعَد التحول الديمقراطي من أهم القضايا التي شغلت الرأي العام بصفة عامة والمحافظين الجدد بصفة خاصة، ولاسيما في الشرق الأوسط، وهي من أهم المطالب التي نادت بها الشعوب وقامت من أجلها الثورات لإجراء التغيير والإصلاح السياسي .

إن عملية التحول الديمقراطي هي المرحلة الفاصلة بين عهد قديم وعهد جديد، ويشهد العالم العربي تحولا إستراتيجياً في بنية نظامه السياسي على الصعيد الوطني والإقليمي، ولكن نتيجة للأحداث الدامية التي شهدتها ساحات بلدان الربيع العربي، رأى البعض صعوبة التحول الديمقراطي السلمي وذلك لوجود الانقسامات الداخلية في ظل عدم توافر رؤية مستقبلية موحدة

---

(٩)كولن مويرز ، الإمبرياليون الجدد " أيديولوجيات الإمبراطورية " ، ترجمة معين الإمام ،ط ١، (السعودية ، العبيكان للنشر، ٢٠٠٨)، ص٤٠.

[10]http://www.aljazeera.net/knowledgate/opinions/2014/12/1

(١١)فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ ، ص ١٨٩.

(١٢)كولن مويرز ، الإمبرياليون الجدد " أيديولوجيات الإمبراطورية " ، ترجمة معين الإمام ، مرجع سابق، ص ٩٣.

(١٣)وليام بلوم ، الديمقراطية " أشد الصادرات الأمريكية فتكاً " ، مرجع سابق ،ص٣٢

لقيادة البلد إلى الأمام وغياب آليات التوصل إلى الحلول الفعالة وتأجيج بعض الدول الإقليمية والغربية للفرقة والانقسامات، وما أدت إليه من انتشار الفوضى وتعميق الصراعات، ويري البعضالآخرأن ما يجرى في بلدان الربيع العربي أمر طبيعي لابد أن يحدث من أجل الوصول إلى التحول الديمقراطي ، بالرغم من طول المدة التي يستغرقها ذلك التحول ، بالإضافة إلى وجود المعوقات التي تعرقل التحول السريع للديمقراطية. ولعلنا نتساءل ما معني التحول الديمقراطي؟

معنى التحول الديمقراطي

يربالمفكر الأمريكي صاحب كتاب " صدام الحضارات "صمويل هنتغتون أنه إذا كان الانتخاب الشعبي لقمة صناع القرار هو جوهر العملية الديمقراطية، فإن النقطة ذات الأهمية الكبرى في عملية التحول إلى الديمقراطية هي تغيير حكومة لم يتم اختيارها بطريقة ديمقراطية واستبدالها بأخرى يتم انتخابها في انتخابات حرة علنية ونزيهة، ومع ذلك، فإن عملية التحول إلى الديمقراطية قبل الانتخابات وبعدها هي عملية معقدة، وتحتاج وقتاً، فهي تشتمل على الاطاحة بالنظام غير الديمقراطي وإحلال محله نظام ديمقراطي، ثم تدعيم البنية الديمقراطية.[١٤]ويعرف الدكتور فايز الربيع عملية التحول الديمقراطي بأنها: "عملية انتقال من النظم التسلطية إلى النظم التعددية، مما يسمح بإقامة علاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس من الحرية، قائمة على أساس الاختيار الشعبي الحقيقي وعلى الانتخابات كوسيلة لتبادل السلطة، ويعترف بوجود معارضة ويضمن حرية الرأي، والتعبير وتؤدي الانتخابات إلى عملية تغيير دوري للحكومات ومراقبتها والسماح بالعمل الحزبي".[١٥] كما تعرف عملية التحول الديمقراطي بأنها إحداث تغيير جدرى وشامل في بنية المجتمع نتيجة فعل الثورات التي تحدث تأثيرات بالغة في كافة المستويات السياسيةوالاجتماعية والفكرية والاقتصادية[١٦].

مما سبق يمكننا القول إن التحول الديمقراطي هو عملية انتقال إلى نظام سياسي يأخذ بعين الاعتبار التعددية السياسية والفصل بين السلطات مع تحقيق التوازن فيما بينها استناداً إلى مرجعية دستورية واضحة ومستقرة، ويعترف بوجودمعارضة للحكم وناهيك عن أنه يضمن حرية الرأي في التعبير عن قضايا ومواضيع لم تكن معروضة للنقاش والجدال في السابق، ويؤمن بالمشاركة السياسية والشؤون العامة في الدولة، بحيث يكون من حق المحكوم تغيير الحكومة بالطرق السلمية من خلال انتخابات دورية حرة ونزيهه كما تقع عليه مسئولية الرقابة على من في السلطة . ولكن في هذه المرحلة الراهنة ترى الباحثة وجود بعض التحديات التي تعوق التحول الديمقراطي لعدم توافر الأرضية الملائمة لذلك التحول .

تحديات التحول الديمقراطي :

ولعلنا نجمل عدداً من التحديات التي تعوق التحول الديمقراطي وذلك على النحو التالي:-

١- عدم وضع صورة مستقبلية أو تحديد أجندة واضحة من قبل من قام بالانتفاضات الشعبية عن الوضع في حالة سقوط الأنظمة السياسية . وهذا الأمر اتضح في عدد من بلدان الربيع العربي، وذلك للتلقائية التي تمت بها تلك الانتفاضات .

([١٤])صامويل هنتغتون ، الموجة الثالثة : التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، ط١ ، (القاهرة ، مركز ابن خلدون دار سعاد الصباح ، ١٩٩٣) ص ٤٦،٨٦ .

([١٥])فايز الربيع ، الثورة المصرية ، ط ١ ، (عمان ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠) ، ص ١٧٩.

([16])http://www.alnoor.se/artc1e.asp?id=195717

٢- غياب القيادات السياسية القادرة على الانتقال للمرحلة الجديدة في دول الربيع العربي وصعوبات المرحلة ذاتها ، مرحلة فهي تجني نتاج ما زرعته الأنظمة السابقة على مدار نصف قرن.[١٧]

٣- وجود أيدٍ خفية تعمل على عدم التحول السلمي الديمقراطي سواء أكانت من قبَل دول إقليمية أو دول غربية لذا ترى في استخدام العنف وسيلة في إنهاء الصراع، الأمر الذي أدى إلى زرع التشاؤم عند من قاموا وساهموا بالقوة في إحداث الربيع العربي وحنينهم للنظام القديم مما ترتب عليهإصابتهم بخيبة أمل جراء ما يحدث في ليبيا وسوريا واليمن

٤- من بين التحديات التي تعوق التحول الديمقراطي، هو التدخل الصريح لدول إقليمية وغربية ، وذلك من خلال دعم جماعة معينة وتحويلها إلى عملاء محليين للأنظمةالأجنبية، ولعل هذا الأمريظهر بوضوح في ليبيا ،حيثوُجِدَت بعض الدول العربية التي تتدخل في الشأن الليبي .الأمر الذي أدى إلى شق الصف الليبي، وتشهد ليبيا حاليا وجود حكومتين إحداهما في طبرق ومعترف بها دوليا والأخرى في طرابلس وتمثل الإسلام السياسي وبدعم من قبل قطر وتركيا، ويحاول مجلس الأمم المتحدة جمع الفرقاء الليبيين وتشكيل حكومة وحدة وطنية والتي لم تتشكل حتى هذه اللحظة بسبب أجندات خارجية تسعى إلى الهيمنة على النفط والغاز الليبيين.

٥- عدم استئصال جذور الأنظمة السابقة الأمر الذي تصعب معه عملية التغيير، فضلا عن التركة والتراكم الاجتماعي الذي خلفته أنظمة الحكم السابقة حينذاك وورثته الحكومات الجديدة عن الأنظمة السابقة.([١٨])

٦- وجود المليشيات وانتشار السلاح كما هو الحال في ليبيا، الأمر الذي يتطلب نزعه ووضع حد لمظاهر التسلح في المجتمع .

٧- ضعف مؤسسات الدولة مما يجعلها غير قادرة على القيام بوظائفها بفاعلية وكفاءة وتدهور الوضع الاقتصادي.[١٩]

٨- الصراعات الأيديولوجية والقبلية في بلدان الربيع العربي

وتُعَد هذه أبرز التحديات التي تعوق بلدان الربيع العربي عن التحول الديمقراطي والتي لو تم تجاوزها فمن الممكن أن تشهد تلك البلدان تحولاً ديمقراطياً، ولكن ترى الباحثة أن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تريد للعالَم العربي الاستقرار، وذلك لأنه يتنافى مع تنفيذ أجنداتها التي تهدف إلى تقسيم الوطن العربي وتشكيل شرق أوسط يخدم مصالحها ويحافظ على أمن إسرائيل ويساهم في سيطرتها على آبار النفط،وسيتضح لنا في المبحث الثاني أن ما يجرى الآن ما هو إلامخطط استعماري من مخططات الإدارة الأمريكية.

المبحث الثاني

الربيع العربي وأجندة المحافظين الجدد

أ- تغير أنظمة الحكم

تبين مما سبق أن بلدان الربيع العربي شهدت احتجاجات شعبية تلقائية دون التنسيق أو الإعداد لها نتيجة للظلم والقهر الذي اكتوت بنارهما منذ سنين مضت من حكام مستبدين، تطالب فيها بالإصلاحات وتحسين مستوى المعيشة، ونحن لا ننكر أن أغلب البلدان العربية ترزخ تحت حكم استبدادي يتسم بعدم تمكين الشعوب من المشاركة السياسية الفاعلة، وكانت لتلك الاحتجاجات

([١٧])حسام كصاي ، ما بعد الثوراث " ربيع عربي أم خريف إسلاموي ،ط١، (عمان ، دار دجلة ،٢٠١٦)،ص، ١٥٩.

([١٨])المرجع السابق ، ص ١٦٠

([19])http://www.assecaa.org/Arbic/HumanRightsWorkPaper.htm.

أثر مباشر للإطاحة بأنظمة الحكم فيها كما ذكرنا آنفا . ولقد اعتقد البعض سهولة التحول الديمقراطي في تلك البلدان، متناسين أن هذه البلدان تفتقر إلى القدرة على تبني الديمقراطية مثلما حدث في دول أوروبا الشرقية، وذلك لغياب القيادة السياسية التي لها القدرة على صناعة القرار السيادي والسياسي، ناهيك عن الصراعات الطائفية والقبلية وانتشار الإرهاب ، وهذا مما قد يؤخر ذلك التحول .

ولكن ترى الباحثة أن الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية ما هي إلا ترجمة فعلية لأجندة المحافظين الجدد، حيث يتبنى هذا التيار جملة من النظريات التي تؤكد الهيمنة الأمريكية أولاً، والمحافظة على أمن إسرائيل ثانياً، ولا يغيب عنأحد أن أطروحة نهاية التاريخ أصبحت بمثابة الإنجيل لذلك التيار، لذا تسعى جاهده لنشر الديمقراطية وبالطبعالديمقراطية الأمريكية التي تكيل بمكيالين لتحقيق مصالحها ومطامعها .

إن حركة المحافظين الجدد من ضمن الحركات السياسية الفكرية التي ظهرت بشكل متنامٍ في الولايات المتحدة الأمريكية، وإن أغلب من ينتمون إليها هم من اليهود حيث يضعون أمن إسرائيل في الدرجة الأولى، وذلك إبان فترة تولي بوش الابن الحكم. لقد تبنى ذلك التيار حزمة من المباديء التي رأوا ضرورة أن تدخل حيز التطبيق الفعلي ولا سيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م،مثل (نشر الديمقراطية الفوكامية وحقوق الإنسان، وتعزيز الهيمنة الأمريكية مع امكانية استخدام القوة العسكرية، وتغيير أنظمة الحكم، ونشر الفوضى الخلاقة.[٢٠]

ويبدو أن هذا التيار قد وجد له مكانة مميزة أثناء فوز بوش الابن بالرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠م، واتضح ذلك جليا بتبوء صقور المحافظين الجدد مناصب سيادية في تلك الفترة ، فتم تعيين "بول ولفوتيز" كنائب وزير الدفاع، و" دوجلاس فايث " كمساعد لوزير الدفاع لشئون السياسات و"لويس ليبي" مدير مكتب ديك تشيني نائبا الرئيس،و "جون بولتون" كمساعد لوزير الخارجية لشئون نزع السلاح و"إليوت إبرامز " كمسئول عن شئون الشرق الأوسط في مجلس الأمن، ولقد كان لهولاء مجتمعين تأثير كبير في رسم وصناعة القرار فيما يتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية واعتبروا أن النتائج وحدها هي التي تحسب: تغيير الأنظمة في أفغانستان وسوريا وإيران والمملكة العربية السعوديةوليبيا بأية طريقة كانت لتحقيق هذه الاهداف.[٢١]

ومن أجل إعادة تشكيل النظام العالمي الجديد يرى المحافظون الجدد ضرورة انصياع جميع دول العالم للقيادة الأمريكية . كما تؤكد أطروحاتهم على ضرورة تجزئة دول الشرق الأوسط إلى دويلات أصغر تتسم بالصراعات المستمرة فيما بينها، وذلك من أجل التلاعب بثرواتها ومقدراتها [٢٢].

وقد ارتبط صعود نفوذ المحافظين الجدد بأحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م، حيث قدموا إطاراً فكرياً متكاملاً لسياسة الولايات المتحدة ما بعد تلك الحقبة، فقد رأى فوكوياما أن الإدارة الأمريكية قد أخذت على عاتقها وضع تدابير احترازية عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر كرد فعل على هذا الهجوم، فأعلنت عقيدة الحرب الوقائية والعمل الاستباقي الذي لا يمانع من شن حرب استباقية على أي دولة تشكل تهديداً مستقبلياً محتملاً على الولايات المتحدة[٢٣]، لقد رأى المحافظون الجدد هجمات سبتمبر الفرصة التي من خلالها تم إعلان الحربالأكاذيب الواهية والمضللة ضد نظام صدام حسين في العراق وجعله هدفاً لتغييره في مقدمة أولوياتها.

([٢٠])فرانسيس فوكوياما ، أمريكا على مفترق الطرق ، مرجع سابق ، ص ٢١ ،٢٢.

([٢١])خنسان الغريب ، مأزق الامبراطورية الأمريكية ، ط١ (بيروت ، مركز الدراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٨) ص١٩٣.

([٢٢])علي زياد عبدالله ، السياسة الدولية والإستراتيجية ، مرجع سابق ، ص١١٣.

([٢٣])فرنسيس فوكوياما ، أمريكا على مفترق الطرق ، ترجمة محمد محمود ، ط١ ،(السعودية ، العبيكان ،٢٠٠٧) ص ٣٩

يحاول المحافظون الجدد الدعوة إلى نشر الديمقراطية وذلك من أجل تحقيق أهدافهم ولاسيما في منطقة الشرق الأوسط التي لها موضع اهتمام ومكانة محورية لديهم، الأمر الذي جعلهم لا يجدون ما يمنعهم من التدخل في القضايا الداخلية لدول المنطقة ولاسيما تلك المتعلقة بالتحول الديمقراطي وحقوق الإنسان، ويؤكد هالبر وكلارك ذلك ويريان أن قضية نشر الديمقراطية عند المحافظين الجدد ترتبط فقط بمنطقة الشرق الأوسط دون ما عداها من المناطق وبلدان العالم الأخرى، التي لا تخلو هى أيضاً من انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان[٢٤]. ويشيران إلى أن أفكار المحافظين الجدد تؤكد على الارتباط بين نشر الديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط عبر إتباع سياسة تغيير الأنظمة وتحقيق المصالح الأمريكية في المنطقة . ويعتبر هالبر وكلارك أن توجهات إدارة بوش الابن إزاء منطقة الشرق الأوسط، المتأثرة بكتابات المحافظين الجدد قد ذهبت إلى عدم إمكانية ضمان استمرار إمدادات الطاقة إلى الولايات المتحدة، وكذلك ضمان الأمن الإقليمي بالشرق الأوسط إلا من خلال تغيير النظم الطغيانية العربية Arab Tyrannies، وأنه على هذا الأساس فإن صانعي القرار من المحافظين الجدد في كل من مكتب نائب الرئيس تشيني أو في البنتاجون قد تبنوا سياسة تقوم على الاقتناع بأن ضمان كل من (إمدادات الطاقة من الشرق الأوسط – الأمن الإقليمي) يتحقق من خلال إتباع سياسة لتغيير أنظمة الحكم Regime Change .[٢٥] كما أكد فوكوياما ذلك في مقالة (ما بعد المحافظة الجديدة) أن المحافظة الجديدة قد ارتبطت بمفاهيم مثل تغير نظام الحكم والمنهج الأحادي في التعامل مع قضايا العلاقات الدولية والهيمنة الأمريكية.[٢٦]

إن المحافظين الجدد يسعون إلى تطبيق سياسة خارجية "أحادية" فبدأوا بتغيير أنظمة الحكم بدلاً من إعادة بنائها، اعتقاداً منهم بأن أمريكا صاحبة رسالة تاريخية تستلزم منها إعادة تشكيل العالم ديمقراطياً بأي وسيلة تماشياً مع ميكافيللى الذي يرى أن الغاية تبرر الوسيلة، ولقد حددوا الدول التي يجب تغيير أنظمة الحكم فيهاووصفوها بالدول المارقة أو محور الشر وهي (ليبيا والسعودية والعراق وإيران وسوريا وأفغانستان)، وجاءت الترجمة العملية لتلك الفكرة من خلال غزو أفغانستان والعراق بحجج وأكاذيب واهية . وترتب على تلك الحروب نتائج عكسية منيت بها الولايات المتحدة حيث كلفتها خسائر بمليارات الدولارات وخسائر في أرواح الجنود ،الأمرالذي قادها إلى إعادة حساباتها في كيفية التدخل في شؤون الدول، ولعل من ضمن الأسباب التي قادت فوكوياما إلى الانشقاق عن تلك الجماعة(المحافظون الجدد) كان في الاخفاقات التي منيت بها أمريكا تجاه الحرب في العراق واستسهال إنجاز الهندسة الاجتماعية في الشرق الأوسط وان الديمقراطية التي تحدثوا عنها تحولت إلى حروب طويلة الأجل، حتى الحكومات التى نصبوها بدت عاجزة عن توفير الأمن لنفسها ناهيك عن شعوبها . لذا يحمل فوكوياما أمريكا وتيار المحافظين الجدد متاعب هذه الحرب.[٢٧]

والجدير بالذكر أن عقيدة تغيير أنظمة الحكم التي يتبناها المحافظون الجدد لم تكن رد فعل على هجمات الحادي عشر من سبتمبر سنة ٢٠٠١م بل تعد ايدولوجيا يعتنقونها ، حيث اغتنموا تلك الأحداث للرد على الإرهاب ولاسيما أن منفذي تلك الهجمات قدموا من منطقة

([24])Stephen Halper and Jonathan Clarke ,America Alone:the neoconservatives and the global order,(Cambridge:
Cambridge university press, 2004), p.218-219

([25]) Ibid.,pp.308-309.

([26])Francis Fukuyama,After Neoconservatism, the New York Times,19\2\1006

([٢٧])فرنسيس فوكوياما ، ترجمة احمد التوبه ، أمريكا في مفترق الطرق ، ط١،(السعودية ، العبيكان ،٢٠٠٧) ، ص٢٣.

الشرق الأوسط . مما ترتب عليه ضرورة استخدام الولايات المتحدة الأمريكية كافة الوسائل لنشر الديمقراطية في المنطقة باعتبارها السبيل الوحيد للحد من خطر الإرهاب والتطرف وتغيير المحتوى الفكري لشعوب المنطقة وغرس القيم الليبرالية.

كما قال توني بلير في مقالة كتبها في مجلة الشؤون الخارجية عام ٢٠٠٧ " إن القضية الجوهرية في التدخلات في العراق وأفغانستان تتمثل في أنها لم تكن لمجرد تغيير الأنظمة، وإنما من أجل تغيير أنظمة القيم التي تحكم الأمم صاحبة العلاقة "[٢٨] فمن المؤكد ان القيم التي تتماشى بها أنظمة الحكم في العراق وأفغانستان لا تتفق مع تطلعات الدول الغربية لذا جاءت ترجمة تغيير أنظمة الحكم ونشر الديمقراطية على النحو التالي :-

١- غزوة العراق وإعدام صدام حسين سنة ٢٠٠٣م .
٢- سقوط النظام التونسي وهروب رئيسه زين العابدين بن على سنة ٢٠١١م.
٣- إعلان الرئيس المصري حسنى مبارك التنحي عن السلطة سنة ٢٠١١م .
٤- سقوط نظام الرئيس الليبي الزعيم معمر القذافي وقتله بطريقة وحشية سنة ٢٠١١م.
٥- تنحي الرئيس اليمني على عبدالله صالح عن الحكم سنة ٢٠١٤م .
٦- الاحتجاجات الشعبية في سوريا وتحولها إلى حرب عسكرية طويلة الأمد بين قوات الجيش النظامي والجيش الحر منذ سنة ٢٠١١م وإلى يومنا هذا، والتي تدعمه الدول الغربية ودول إقليمية وأسفرت تلك الاحتجاجات عن ظهور تنظيمات متطرفة : " كتنظيم الدولة الإسلامية " داعش، الأمر الذي أدى إلى دخول المنطقة في فوضى عارمة وصراعات طائفية مما اجبر الدول الغربية على توجيه ضربات جوية لذلك التنظيم الذي يهدد سلامة وأمن المنطقة العربية ويهدد مصالحها ناهيك عن تفاقم أزمة اللاجئين عبر البحر المتوسط للوصول إلى الجنة الموعودة (الليبرالية الفوكويامية) التي عقد لها عدة اجتماعات للحد منها ولكن دون جدوى.

لقد أصبح موضوع التحول الديمقراطي في منطقة الشرق الأوسط مكونا رئيسياً من مكونات السياسة الخارجية الأمريكية، ويؤكد المحافظون الجدد على ضرورة نشر الديمقراطية وذلك من خلال اعتمادهم سياسة تغيير أنظمة الحكم، ويؤكد فرانسيس فوكوياما بصورة قاطعة على مسئولية المحافظين الجدد – المتواجدين داخل إدارة بوش أو خارجها – في دفع الإدارة نحو تبني سياسات لإحداث تحول ديمقراطي في العراق وفي الشرق الأوسط بشكل عام، حيث يذكر فوكوياما في مقال" ما بعد المحافظة الجديدة "بأن" المحافظين الجدد داخل الإدارة وخارجها، ... هم الذين دفعوا باتجاه تحقيق التحول الديمقراطي في العراق والشرق الأوسط "[٢٩]. ويشاطر جارى دورين فوكوياما في ذلك إذ يؤكد على أن الأفكار الخاصة بإقصاء عدد من الأنظمة في العالمين العربي والإسلامي كانت موجودة بالفعل لدى المحافظين الجدد قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وانهم عملوا عقب تلك الهجمات على إعداد قوائم بالحكومات والجماعات التي يجب القضاء عليها، إلى حدأنه في كثير من الاحيان كان النقاش داخل دوائر المحافظين الجدد يتعلق بترتيب نظم الحكم والجماعات المستهدفة[٣٠]

وبهذا يتضح أن المحافظين الجدد كانوا يسعون إلى إحداث تغيرات في أنظمة الحكم ونشر الديمقراطية في الشرق الأوسط، فترجم ذلك بغزو العراق بحجة امتلاكها أسلحة دمار شامل وضرورة تحويلها إلى دولة ديمقراطية لأن ذلك سيؤدي بالضرورة لانتشار عدوى

([٢٨])نقلا عن على زياد عبدالله فتحي ، السياسة الدولية والإستراتيجية " القوة الأمريكية في النظام الدولي الجديد" ط١ (القاهرة ، المكتب العربي للمعارف ،٢٠١٥) ص١٧٠

([29])Francis Fukuyama,After Neoconservatism , 0p.cit.

([30])Gary Dorrien, consolidating the empire: Neoconservatism and the politics of America domination, political theology,2005 ,p 420

الديمقراطية في دول المنطقة، ولكن نتيجة لما تكبدته الإدارة الأمريكية من خسائر مادية وبشرية في العراق وانتشار الإرهاب بشكل أوسع رأت في التدخل المباشر أمراً لابد من الابتعاد عنه واعتمادها على سياسة تجنبها الخسائر، وسجل التاريخ يؤكد أن من غزو العراق ٢٠٠٣م إلى انتفاضات الربيع العربي ماتزال الولايات المتحدة تحارب وتتحمل عناء محاربة الإرهاب في العراق وأفغانستان، وأضافتإليها الآن سوريا وليبيا، في المقابل أفرزت تلك الحروب أيضا نتائج جاءت على هيئة سلسلة من الهجمات الانتحارية داخل أراضى الدول الغربية كفرنسا وأسبانيا وأمريكا والمجر من قبل تنظيم الدولة الإسلامية "داعش"، الأمر الذي جعل الدول الغربية قلقة ازاء ما يحدث مما أجبرها إلى المشاركة العسكرية في القضاء على ذلك التنظيم في سوريا والعراق وليبيا.

- والجدير بالذكر أن الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تحاول جاهدة إغراء العالَم العربي بالديمقراطية الليبرالية، لذا تستخدم قوتها الناعمة وتدعي بأنها تنادي بنشر الديمقراطية وتمكين شعوب المنطقة من المشاركة في الحكم وبناء اقتصاديات السوق، لذا قامت الإستراتيجية الأمريكية في مجال التحول الديمقراطي بالعمل على تنفيذ مخططها من خلال إطار مبادرة الشرق الأوسط الكبير في شهر ٦ ٢٠٠٤م التي تم الاتفاق على مضمونها في اجتماع قمة الدول الثماني وهم (أمريكا، بريطانيا، فرنسا، كندا ،ألمانيا، ورسيا، اليابان، إيطاليا، بجانب مشاركة ممثل الاتحاد الاوروبي وروساء دول أفغانستان والجزائر والبحرين والعراق والأردن ،تركيا ،اليمن ،جنوب افريقيا ،غانا ،السنغال،أوغندا بينما اعتذر عن المشاركة زعماء كل من، تونس ،مصر، السعودية، المغرب، الكويت، باكستان، وقدركزت القمة على مناقشة قضية الاصلاح في الشرق الأوسط وذلك في إطار المبادرة التي تقدمت بها الولايات المتحدة الأمريكية.[٣١]

وبعلو صوت انتفاضات الربيع العربي وجدت الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الفرصة التي طال انتظارها ، فالشعوب هي من انتفضت ونادت بالتحول الديمقراطي ومنبدون إيعاز من أحد ،فهبت وساندت تلك الانتفاضات وقدمت لها الدعم اللازم لتحقيق اهدافها والسيطرة على آبار النفط وتشكيل شرق أوسط جديد بمقاييس أمريكية مؤكدة على نبل اهدافها وهو التحول الديمقراطي وهي تظهر عكس ما تبطن ولأهمية النفط لدى أمريكا تقول كارين ارمسترونج " إن أولويات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ليست حقوق الإنسان والديمقراطية وإنما النفط والتفوقية الإسرائيلية".[٣٢]

- وبالرغم من الخطاب الديمقراطي الذي تدعيه أمريكا والدول الغربية نجدها وفي معظم الأحيان - تساندالأنظمةالاستبدادية (ألم يكن القدافي في السنوات الأخيرة صديقاً لكل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا) وكما تمنع وصول نظام ديمقراطي إلى سدة الحكم أو إلغاء نتائج انتخابات ديمقراطية ولاسيما في الشرق الأوسط أو تعيق الديمقراطية باسم الديمقراطية، لذا فأن الإدارة الأمريكية لن تدعم أي تغيير ديمقراطي حقيقي، ولن تساند حتى الديمقراطية المحدودة التي تعارض مصالح رأس المال الأمريكي للخطر.[٣٣] فهي لا تريد الديمقراطية التي تمكن الشعب من تداول سلمي للسلطة أو تحقق العدل وتزيل الاستبداد والتسلط وإجراء انتخابات

)([٣١]كرملين عبدالله اسكندر " الشرق الأوسط وأفريقيا في قمة مجموعة الثماني ، السياسة الدولية ،العدد١٥٧، (القاهرة ، الأهرام يوليو ٢٠٠٤)ص،١٧٠

)([٣٢]نقلا عن عبد علي كاظم المعموري ، إنهيار الإمبراطوري الأمريكية ،ط١(عمان، الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠١٤)٢٩

([٣٣]) كولن مويرز، الإمبرياليون الجدد " أيديولوجيات الإمبراطورية " ترجمة ، معين الإمام ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

واحترام حقوق وإطلاق الحريات بل تريد الديمقراطية التي تساهم في تفكيك المنظومة الفكرية والثقافية للشعوب العربية الإسلامية من خلال ترسيخ مضمون الديمقراطية النفعية المادية.[٣٤]

إن التباين والازدواجية في الموقف الأمريكي من الثورات العربية يؤكد أن أمريكا تنساق وراء تحقيق مصالحها في كل دولة وأهمية كل دولة وقد لاحظنا موقفها ما بين التهوين والاستخفاف بالثورة السورية والتردد والتعاطي مع الثورة في تونس ومصر، وتأييدها على التدخل العسكري في ليبيا، إلى الصمت المدهش إزاء القمعفي البحرين، إلى دعم المعارضة السورية في مرحلة لاحقة[٣٥] وبالتالي فان أمريكا لا تهدف من تدخلاتها الا لتنفيذ مطامعها ومصالحها .

يمكننا القول:إن ما جرى على الساحة العربية هو مخطط من مخططات الإدارة الأمريكية كرست له الوقت وأنشأت له المراكز البحثية وأقامت من أجله المؤتمرات بحجة نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، ولكن في حقيقة الأمر أن الدول الغربية لا تسعي لذلك بقدر ما تسعى إلى المحافظة على أمن إسرائيل ونهب خيرات ومقدرات البلدان العربية والسيطرة على آبار النفط، لذا غيرت إستراتيجيتها من حروب عسكرية معلنة تقودها الولايات المتحدة لتغيير الأنظمة في الشرق الأوسط إلى بث الفوضى الخلاقة.

ب- الفوضى الخلاقة

وبعد تلك الخسائر التي تكبدتها الولايات المتحدة الأمريكية أخذت تعيد حساباتها في كيفية تغيير أنظمة الحكم دون خوض غمار الحروب طويلة الأمد فوجدت في نظرية الفوضى الخلاقة السبيل إلى تحقيق مصالحها، وبعبارة أخرى لقد أخذت الإدارة الأمريكية تغير إستراتيجيتها من حروب عسكرية مباشرة لتغيير أنظمة الحكم في الشرق الأوسط فتبنت نظرية الفوضى الخلاقة، لذا تبنى المحافظين الجدد تلك النظرية للتعامل مع العالم إذ يراد بها أحداث فوضى لكي يتمكنوا من ضمان استقرار وضعهم، كما يرى المحافظين الجدد إن السلطة لا يمكن ممارستها الا بعد خلق عدم الثبات والسكون . لذا باتت الفوضى الخلاقة الحل الذي يؤدي إلى الخلاص والحرية.[٣٦]

وتُعَد (الفوضى الخلاقة) إحدى السياسات التي اتبعتها الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط من أجل بسط السيطرة عليه وتقويض قواه الحية، ويرى المحافظين الجدد ضرورة وجود فوضى وتدمير في المنطقة وعدم بقاء المرء في حالة جمود وسكون ولا سيما منطقة الشرق الأوسط.[٣٧] . فالفوضى الخلاقة هي خلاقة لأمريكا والدول الغربية لتأمين مصالحها وغير خلاقة بالنسبة للشعوب التي تمارس عليها تلك الفوضى، فبوش الابن وفريقه المحافظين الجدد يرون في الاستقرار عقبةفي سبيل تحقيق أهداف وإستراتيجيات الولايات المتحدة. لذا يسعون إلى زعزعة استقرار الشرق الأوسط وإحداث نوع من الانهيار الذي يعقبه بناء شيء مخالف يخدم مصالحهم .

([٣٤])حسام كصاى . ما بعد الثورات ، مرجع سابق ، ص٢٠٩

([٣٥])المرجع السابق ،ص٢١٠

([٣٦])على زياد عبدالله ، السياسة الدولية والإستراتيجية " القوة الأمريكية في النظام الدولي الجديد ، ط١،(القاهرة ،المكتب العربي للمعارف ، ٢٠١٥) ص٢٨١.

)([٣٧])هادي قبيسي ،السياسة الخارجية الأمريكية بين مدرستين المحافظة الجديدة والواقعية – ط١ (بيروت ، الدار العربية للعلوم ناشرون – ٢٠٠٨) – ص ٥٨.

لقد باتت إستراتيجية الفوضى الخلاقة إحدى الوسائل التي أنتجها العقل الأمريكي في التعامل مع القضايا الدولية ويعد(مايكل ليدن)* (Michael Ledeen) أول من وضع مفهوم الفوضى الخلاقة (البناءة) بمعناها الحالي، حيث أعد مشروعاً في عام ٢٠٠٣ يؤكد فيه على ضرورة وجود إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية لكل دول المنطقة بناء على أيديولوجية جديدة تستند إلى الهدم ثم إعادة البناء[٣٨] . وهذه هي احدى سياسات الخارجية الأمريكية تجاه العالم العربي والتي تعتقد أن تحقيق السلام في الشرق الأوسط لا يتم إلا من خلال نشر الديمقراطية ولكن أى ديمقراطية بالطبع الدايمقرطية الأمريكية التي جاء به فوكوياما في كتابة نهاية التاريخ ، الذي يعد تعبيراً عملياً لمفهوم الفوضى الخلاقة ولاسيما عندما قسم العالَم إلى عالمين عالَم تاريخي غارق في الحروب والاضطرابات ولم تحقق فيه بعد الديمقراطية وعالَم ما بعد التاريخي وهو العالَم الذي تحققت فيه الديمقراطية الليبرالية وهي الدول الغربية، وبدت معالم سياسة الفوضى الخلاقة على التوجة السياسي الأمريكي العالمي بوضوح عند تولى بوش الابن، حيث أطلقت مستشارة الأمن القومي الأمريكي (كوندليزا رايس) مصطلح (الفوضى الخلاقة) عند حديثها عن السياسة والمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، واستمرت الفوضى في الشرق الأوسط حتى أخذت طابعاً ربيعياً اعتقد البعض ان الشرق الأوسط يشهد حالة من الثورات التي قد تقوده إلى تحول ديمقراطي.

إن ما جرى في المنطقة العربية من انتفاضات عصفت ببعض الدول كليبيا وسوريا ومصر تجعلنا نقر بأن الولايات المتحدة الأمريكية قد نجحت في تنفيذ مخططاتها في المنطقة من خلال جر المنطقة إلى حالة من عدم الاستقرار السياسي والأمني من خلال إتباعها سياسة القوة الناعمة والقوة الذكية والفوضى الخلاقة، حيث تعتبر القوة الناعمة هي التي تؤثر على الجماهير وتوجهم إلى اتجاهمحدد، أما القوة الذكية فهى تعمل من خلال الإكراه القسري والإغراء إلى زعزعة الأنظمة، وبالتالي يأتي دور الفوضى الخلاقة التي تهدف إلى خلق الفوضى وتساهم في تنفيذ الاطماع والمصالح الأمريكية في المنطقة العربية .[٣٩]

إنأمريكا تعمل تحت مسميات براقة مثل نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان والدفاع عن الحريات وحق تقرير المصير، وتطلق على من يقف ضد أهدافها وأحلامها التوسعية أنهم محور الشر أو الدول المارقة،إن السياسة التي تبيح وتشرع استخدام الوسائل اللاشرعية لتحقيق الغايات وتتبنى فلسفة البقاء للأقوى بدلاً من البقاء للأفضل وتسوق مفهوم القوة حق بدل من مفهوم الحق هو القوة هي سياسة موجبة للمقاومة أخلاقياً وإنسانياً؛فهو واجب أقرته كل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية،فأمريكا التي تعمل على افتعال وإشعال الحروب من أجل تأمين أمنها الغذائي على حساب الموارد الوطنية للشعوب ،و تعمل على بيع إنتاجها من الأسلحة التى اغرقت بها العالم العربى ولاسيما ليبيا التى باتت مكاناً لتجارة السلاح،والتي تعاني أيضا من الفوضى منذ مقتل القذافي حتى الآن، فأي ديمقراطية تتحدث عنها واى حماية لحقوق الإنسان والمئات ما بين متشرد ونازح ومغتال من بلدان الربيع العربي،ورغم ذلك هناك من يراهن على السياسة الأمريكية ويعتقد أن لها مصلحة في تقدم دول المنطقة وشعوبها،فالسياسة الأمريكية لا تخدم إلامصالحها وكل ما تنادى به عبارة عن شعارات زائفة الغاية منها الهيمنة وتنفيد إستراتيجيتها والسيطرة على منابع النفط.

إن الدول الغربية تحاول جاهدة السيطرة على منابع النفط في البلدان العربية فأغلب الدول التي تصفها بالدول المارقة تمتلك النفظ أو لها موقع جغرافي قد يؤدي إلى زعزعة أمن

*مايكل ليدين – عضو بارز في معهد انتربرايز ومنهم بصياغة مشروعات بوش السياسية للشرق الأوسط.

)([٣٨]المرجع سابق ، ص ٥٩.

)([٣٩]على زياد عبدالله ، السياسة الدولية والإستراتيجية ، مرجع سابق ، ص٢٨٢

إسرائيل أو تحاول تشكيل قوة إقليمية قد تكون ضد تحقيق مصالح الإدارة الأمريكية، تماما كما حدث في ليبيا المصنفة بالدولة المارقة والتي تمتلك آبار نفط ناهيك عن دعم القذافي اللامحدود للاتحاد الافريقي ولعلنا شهدنا الأحداث الدامية التي دارت في بنغازي والتي تحولت من انتفاضات شعبية لها مطالب وتنادي بالإصلاحات السياسية والاقتصادية إلى انتفاضة مسلحة .

ومن خلال ما تم طرحه يتضح وبشكل جلي أن المحافظين الجدد يحاولون تشكيل العالَم ديمقراطياً وبمقاييس أمريكية فرأوا في تغيير أنظمة الحكم والفوضى الخلاقة سبيلاً لذلك ولاسيما في البلدان العربية، ولكن يظل السؤال قائماً هل تشهد بلدان الربيع العربي تحولاً ديمقراطياًأم فوضى خلاقة ؟

ويمكننا الإجابة على السؤال بالقول: إن بلدان الربيع العربي لم تحقق التحول الديمقراطي الذي كانت تصبو إليه ولم يتم قطع الاستبداد الذي تحول بدوره من استبداد دولة إلى استبداد فوضوي والذي يعد هو الأشد من استبداد الدولة، وذلك لأن استبداد الدولة يكون استبداداً منظماً وتكون حقوق الضحايا محفوظة فيه؛ بمعنى أن المستبد معروف الهوية والجهة وهي الدولة، أما استبداد الفوضى ولاسيما في دولة تتميز بالتنوع الثقافي والتعددية (وهي صفة معظم البلدان العربية) ستكون أشد فتكاً بالناس. وهذه الحقيقة المؤلمة تم تعميمها في بلدان الربيع العربي حيث زرعت الفوضى وساد التخلف وانتشرت الاضطرابات وزاد القتل والاختطاف واهتزت منظومة الأمن القومي العربي[٤٠]

إن المنطقة العربية تشهد فوضى خلاقة تحت مسمى التحول الديمقراطي فالولايات المتحدة الأمريكية حاولت تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط على حساب الديمقراطية ولم تحقق أياً منهما، وتتبنى الآن نهجاً مختلفاً تمثل في أحداث الفوضى في الشرق الأوسط على اعتبار الاستقرار في العالم العربي عائق أساسي أمام تقدم مصالح الولايات المتحدة في المنطقة وينادى أنصار نظرية الفوضى الخلاقة باستخدام القوة العسكرية لتغيير الأنظمة، كما حدث في أفغانستان والعراق، وفي حقيقة الأمر لقد استعارت الولايات المتحدة تلك النظرية لتغطية الفشل الأمريكي في المنطقة.ويقول صالح الخصاونة في هذا الصدد: "أريد أن أضيف مصطلحاً استعملته الولايات المتحدة الأميركية في عام ٢٠٠٦ وهو مصطلح الفوضى الخلاقة في العالم العربي، متسائلاً: هل هناك صلة بما تم في عالمنا العربي اليوم من ثورات بمشروعات أمريكا وخططها الإستراتيجية المريضة".[٤١] إن النتائج السلبية التيأفرزها ما يسمى بالثورات العربية جعلنا نجزم بأن مخطط أجندة المحافظين الجدد تم تنفيذه على المنطقة العربية.

---

(٤٠)حسام كصاي ، ما بعد الثورات " ربيع عربي أم خريف إسلاموي ،ط١، (عمان ، دار دجلة ،٢٠١٦) ص١٠٨، ١٠٩.

)(٤١نقلا عن المرجع السابق ،ص ١٣٨.

الخاتمة

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج وذلك على النحو التالي : -

١- أن العالَم العربي شهد انتفاضاتواحتجاجات شعبية جاءت بشكل تلقائي دون إيعاز من أحد معبرة عن رغبة الشعوب للإصلاحات وتحسين مستوي المعيشة في كافة الميادين الحياتية .

٢- أسفرتتلك الانتفاضات عن نتائج متباينة، ففى تونس هرب الرئيس زين العابدين بن على، وفي مصر اعلن الرئيس حسني مبارك عن تنحيه عن السلطة،أما في ليبيا فقد تحولت تلك الانتفاضات إلى حرب عسكرية، الأمر الذي أدى إلى تدخل الناتو وانتهت بمقتل الزعيم الليبي معمر القذافي، وأما في اليمن وبوساطة خليجية تم تنحي الرئيس عبدالله صالح عن الحكم مقابل عدم مقاضاته،وفي المقابل تشهد سوريا حرباً دخلت عامها الخامس بين قوات الجيش النظامي والجيش الحر وأسفرت عن فوضى وصراعات والأخطر من ذلك ظهور ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

٣- صعوبة التحول الديمقراطي السريع في بلدان الربيع العربي نتيجة لوجود تحديات تعوق ذلك.

٤- تبين أن ما شهدته المنطقة العربية ما هو إلا ترجمة لأجندة السياسة الخارجية الأمريكية والمحافظين الجدد الذينيدعون أنهم يسعون إلى نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط، الأمر الذي يجعلنا نقر بتحقق نبوءة فوكوياما وتياره المحافظين الجدد .

٥- التباين في موقف الولايات المتحدة الأمريكية من ما يسمى بالثورات العربية بحسب المصلحة الأمريكية، وأمريكا لا تسعى إلى نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان بقدر ما تسعى إلى السيطرة على آبار النفط ومقدرات الدول العربية ورسم شرق أوسط جديد يخدم تطلعاتها.

قائمة المراجع

١- أبو عياد فاطمة الزهراء ، القديس أوغسطين " أفريقيته وعالميته " ط١، ج٢، (الجزائر، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، ٢٠٠١).
٢- جوني وست، كرامة" رحلات في الربيع العربي" ، ترجمة طلال فيصل، ط١(القاهرة ، دار الشروق ،٢٠١٣).
٣- حسام كصاى ، ما بعد الثورات " ربيع عربي أم خريف إسلاموي" ، ط١(عمان ، دار دجلة ،٢٠١٦) .
٤- خسان الغريب، مأزق الامبرطورية الأمريكية ،ط١(بيروت ، مركز الوحدة العربية ، ٢٠٠٨).
٥- صامويل هنتغتون ، الموجة الثالثة: التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين ، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط١(القاهرة ، مركز ابن خلدون ، ١٩٩٣) .
٦- عبد علي كاظم ، إنهيار الإمبرطورية الأمريكية ، ط١(عمان ، الأكاديميون للنشر والتوزيع ، ٢٠١٤) .
٧- علي زياد عبدالله ، القوة الأمريكية في النظام الدولي الجديد، ط١(القاهرة ، المكتب العربي للمعارف ، ٢٠١٥).
٨- فايز الربيع، الثورة المصرية ، ط١(عمان ، دار الحامد للنشر ،٢٠٠٠)
٩- فرانسيس فوكوياما ، نهاية التاريخ والأنسان الأخير ، ترجمة فؤاد شاهين ،ط١ (بيروت ، مركز الإنماءالقومي ، ١٩٩٣).
١٠- فرانسيس فوكوياما ، أمريكا في مفترق الطرق ، ترجمة أحمد التوبه ،ط١(السعودية ، العبيكان للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧).
١١- كرملين عبدالله اسكندر، الشرق الأوسط وأفريقيا في قمة مجموعة الثماني، مجلة السياسة الدولية ،العدد١٥٧، (القاهرة ، الأهرام ،٢٠٠٤).
١٢- كولن مويرز ، الإمبرياليون الجدد" أيديولوجيات الأمبراطورية، ترجمة معين الإمام ،ط١(السعودية ، العبيكان للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٨).
١٣- مجدي كامل وآخرون ، مكيافيللي وكتابه الأمير ، ط١ (القاهرة ، دار الكتاب العربي ،٢٠٠٨).
١٤- محمد عبد المعز نصر . فلسفة السياسية عند الألمان ، (القاهرة ، دار النهضة العربية).
١٥- محمد على الكبسي، كيمياء الربيع التونسي والعربي، ط١ (بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،٢٠١٤).
١٦- محمد ثابت ، الحكام العرب " كيف سقطت العروش من المحيط إلى الخليج ،ط١(اليمن . دار الوعي ، ٢٠١١).
١٧- مالك عبيد أبو شهيوه وآخرون ، الإيديولوجيا والسياسة ، ج١(مصراتة ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥).
١٨- نواف القدامي ، الإسلاميون وربيع الثورات ، ط١(بيروت ، دار التنوير ،٢٠١٣).
١٩- هادي قبيسي ، السياسة الخارجية بين مدرستين المحافظة الجديدة والواقعية ،ط١(بيروت ، الدار العربية للعلوم ،٢٠٠٨).
٢٠- وليام بلوم ، الديمقراطية أشد فتكاً، ترجمة فاطمة نصر ،ط١(القاهرة ،مكتب سطور للنشر ، ٢٠١٥).

21_Gary Dorrien, consolidating the empire: Neoconservatism and the politics of America domination, political theology,2005

22_ Stephen Halper and Jonathan Clarke ,America Alone:the neoconservatives and the global order,(Cambridge: Cambridge university press, 2004
23_ Francis Fukuyama,After Neoconservatism, the New York Times,19\2\1006
24_http://www.aljazeera.net/knowledgate/opinions/2014/12/1
25_http://www.alnoor.se/artc1e.asp?id=195717

26_http://www.assecaa.org/Arbic/HumanRightsWorkPaper.htm